

مفاهيم القرآن

(458) ففي هذه الآية جعل اعتقادهم بإلوهية غير الله هو الملاك للشرك، والمراد هنا "الشرك في العبادة". وبمراجعة هذه الآيات ونظائرها التي تعرضت لموضوع الشرك وبالأخص لموضوع شرك الوثنيين تتجلى هذه الحقيقة - بوضوح تام - أن عبادتهم كانت مصحوبة مع الاعتقاد بإلوهيتها، بل يمكن استظهار أن شركهم كان لأجل اعتقادهم بإلوهية معبوداتهم، ولأجل ذاك الاعتقاد كانوا يعبدونهم ويقدمون لهم النذور والقربان وغيرهما من التقاليد والسنن العبادية، وبما أن كلمة التوحيد تهدم عقيدتهم بإلوهية غيره سبحانه ، كانوا يستكبرون عند سماعه كما قال سبحانه : (إِنَّ زَنْهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُسْتَكْبِرُونَ). (1) أي يرفضون هذا الكلام لأنهم يعتقدون بإلوهية معبوداتهم ويعبدونها لأجل أن لها آلهة - حسب تصوّرهم - . ولأجل تلك العقيدة السخيفة كانوا إذا دعي الله وحده كفروا به لأنهم لا يحصرون الإلوهية به وإذا أشرك به آمنوا، لانطباقه على فكرتهم كما قال سبحانه : (ذَلِكَ بِأَنَّ زَنْهُمْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرُوا ثُمَّ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَّابُونَ) (2) إلى هنا ظهرت الدعوى الأولى بوضوح وجلاء. وأما الدعوى الثانية فتدل عليها الآيات التي تأمر بعبادة الله، وتنهى عن عبادة غيره، مدللًا ذلك بأن الله لا إله إلا الله، إذ يقول: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ). (3)

1 . الصافات: 35. 2 . غافر: 12. 3 . الأعراف: 59.